Rimak International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSN: 2717- 8293

**Djamal SAIHI**[1]

# THE ROLE OF CRITICAL APPROACHES AND HUMAN SCIENCES IN ORIENTING CULTURE AND COGNITION IN HUMAN SOCIETIES (A STUDY OF CONTEMPORARY CULTURAL AND COGNITIVE SHIFTS)

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.6-3.33

**Research Article**

**Received:** 02/05/2021
**Accepted:** 07/06/2021
**Published:** 01/07/2021

This article has been scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

**Copyright** © Published by Rimak Journal, www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih, Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

**Abstract:**

This study aims at presenting a critical reading of the human sciences approaches during the last half of the twentieth century, as the human sciences plays an active role in the formation of societies cultures, and the critical process is closely related to the this field, subsequently, they are complementary. The critical process positively contributes to the realization of multiple readings and the cognitive and cultural enrichment.

The twentieth century has witnessed cultural and cognitive shifts that led to the emergence of many critical trends which carries human studies from the focus on external contexts that produced the text to the focus on the cultural systems implied beyond and inside the text. We believe that human sciences have an effective role in orienting societies' culture towards the intellectual advancement and the civilizational progress. Therefore, this study seeks to highlight this important feature of modern and contemporary humanities.

The study also attempts to link the human sciences with the digital transitions that the contemporary world has known, especially at the dawn of the third millennium, whereby television, computer, Internet, smart phones and so on have been invented.

These tools have made qualitative leap and radical shift in critical studies and humanities. Cultural studies has dominated the field of humanities. Thus, literary and critical interest has shifted from the elite's environment to the popular mass culture which represents the vast majority in human societies. Hence, the present study explores the mentioned shifts following basically the descriptive approach as well as the historical approach when necessary in order to achieve the research objectives.

On the basis of what have been mentioned, the following questions are raised:

What is meant by human sciences? What is its relationship to the positive construction of human culture?

What is the relationship between the critical approaches and the humanities? How their integration can be realized?

[1] Dr. , Hadj Lakhdar University, Algeria, Djamalsaihi111@gmail.com, https://orcid.org/0000-0002-5332-5453

What are the proposed means to make the humanities achieve intellectual moderation and cultural balance?
Finally, what are the prospects for contemporary human sciences in light of the computational dominance and the digitization?.
**Key words:** Human Sciences, Critical Approaches,Culture And Cognition.

# دور المناهج النقدية والعلوم الإنسانية في توجيه الثقافة والمعرفة لدى المجتمعات البشرية (دراسة في التحولات الثقافية والمعرفية المعاصرة)

**جمال سايحي** [2]

## الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة نقدية لمناهج العلوم الإنسانية خلال النصف الأخير من القرن العشرين، باعتبار أن العلوم الإنسانية لها دور فعال في تكوين ثقافة المجتمعات البشرية، وأن العملية النقدية لصيقة بالعلوم المذكورة فهما صنوان، إذ بالعملية النقدية تتعدد القراءات، ويتحقق الإثراء المعرفي والثقافي بشكل إيجابي، وقد عرف القرن العشرون تحولات ثقافية ومعرفية أضفت إلى ظهور اتجاهات نقدية عديدة، نقلت الدراسات الإنسانية من الاهتمام بالسياقات الخارجية التي أنتجت النص إلى الاهتمام بالأنساق الثقافية المضمرة خلف النص وداخله، ونحن نؤمن بأن العلوم الإنسانية لها الدور الفعال في توجيه ثقافة المجتمعات نحو الرقي الفكري والتقدم الحضاري، لذلك فإن الدراسة تسعى إلى إبراز هذه الخاصية الهامة التي تنطوي عليها العلوم الإنسانية الحديثة والمعاصرة.

كما تهدف الدراسة أيضا إلى ربط العلوم الإنسانية بالتحولات الرقمية التي شهدها العالم المعاصر خاصة مع مطلع الألفية الثالثة، حيث ظهر جهاز التلفزيون، والحاسوب والأنترنت والهواتف الذكية وما إلى ذلك، فأحدثت هذه الوسائل المذكورة نقلة نوعية وتحولا جذريا في الدراسات النقدية والعلوم الإنسانية، حيث أصبحت الدراسات الثقافية تهيمن على مجال العلوم الإنسانية، فانتقل الاهتمام الأدبي والنقدي من المحيط النخبوي إلى الثقافة الشعبية الجماهيرية، لأن هذه الأخيرة تمثل السواد الأعظم في المجتمعات البشرية، ومن ثم فإن الدراسة تقوم باستكشاف نقاط التحولات المذكورة، وستتخذ الدراسة المنهج الوصفي بشكل أساسي، وتستأنس أحيانا بالمنهج التاريخي من أجل بلوغ أهدافها.

وبناء على ما سبق فإن الدراسة تطرح التساؤلات الآتية:

-ماذا نقصد بالعلوم الإنسانية ؟ وما هي العلاقة بينها وبين البناء الإيجابي لثقافة الإنسان ؟

-وما هي العلاقة بين المناهج النقدية والعلوم الإنسانية ؟ وكيف يتحقق التكامل بينهما ؟

-وما هي الوسائل المقترحة لجعل العلوم الإنسانية تحقق الاعتدال الفكري والتوازن الثقافي ؟

- وأخيرا، ما هي آفاق العلوم الإنسانية المعاصرة في ظل الهيمنة الحاسوبية والرقمنة ؟.

**الكلمات المفتاحية**: المناهج النقدية، العلوم الإنسانية، الثقافة والمعرفة.

[2] د. ، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، Djamalsaihi111@gmail.com

**المقدمة:**

عرف النصف الأخير من القرن العشرين ظهور مناهج نقدية عديدة في العالم الغربي والعالم العربي على حد سواء، وقد شكلت فترة نهاية الحرب العالمية الثانية نقطة محورية دفعت الكتابة النقدية نحو الانفتاح، فظهر الشعر الحر وقصيدة النثر ثم الدراسات التي أطلق عليها النقاد تسمية – ما بعد الكولونيالية-، وهذا الانفتاح في الرؤية النقدية تبعه انفتاح في الرؤية السياسية والاقتصادية، وقد دعا رواد المناهج النقدية التي رافقت الحداثة إلى كتابة نقدية تخرج عن المألوف في الشكل والمضمون، ومن الطبيعي أن يلحق هذه الحركة السريعة في الكتابة الأدبية حركة نقدية تدفع الكتابة السابقة نحو التعدد القرائي والانفتاح النصي لبلوغ آفاق نقدية متعددة وواعدة.

ولاشك أن بدايات ظهور هذه المناهج النقدية كان في القارة الأوروبية لأن البلدان العربية لا تزال تعاني من وطأة الاستعمار في تلك الفترة، فكان لزاما على الضعيف أن يقلد القوي وأن يسير التابع سير المتبوع ليستفيد من رقي فكره وتقدم حضارته، وعلى هذه الشاكلة انتقلت المناهج النقدية التي ظهرت زمن الحداثة - بدءا بالبنيوية والسميائية والأسلوبية ووصولا إلى نظرية القراءة والتأويل ثم إلى منهج التفكيك- إلى الساحة النقدية العربية، فتأثر بها النقاد العرب من الخليج إلى المحيط وألفوا في ذلك كمًا هائلا من الكتب والمنشورات العلمية التي تصب في هذا المجال.

ولم تكن الدراسات النقدية بعيدة عن التحولات التي شهدها العالم بعد ظهور الوسائط التواصلية الحديثة، حيث تأثرت بها وأحدثت فيها نقلة نوعية جعلتها تهتم بمجال الثقافة أكثر من اهتمامها بالشعر والنثر الفني كما هو الحال في الدراسات النقدية التي سبقت هذه الفترة المذكورة، وعلى هذا فإن دراستي ستتبع هذه المحاور المفصلية التي أحدثت تحولات سريعة في العلوم الإنسانية المعاصرة، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

**أولا: المناهج النقدية المعاصرة من الوظيفة النقدية إلى الوظيفة الثقافية**

تميزت المناهج النقدية المعاصرة بالخروج عن النموذج التقليدي المألوف، وتجاوزت الاشتغال عن السياقات الخارجية التي تكون النص من خلالها، واستبدلت ذلك بالبحث عن الأنساق الثقافية التي تهيمن على النص المعاصر وتتحكم في إنتاجه إما بطريقة واعية وظاهرة لدى المتلقي وإما بطريقة خفية وغير واعية، وهذا التحول الجذري في المناهج النقدية يعود إلى تأثير المكتشفات التكنولوجية المعاصرة، حيث دفعت هذه الأخيرة العقل البشري إلى أن يعيد تفكيره في تطوير القدرات والمهارات التي اكتسبها بالطرق التقليدية المألوفة.

يقول علماء النفس: إن المهارات والقدرات التي يكتسبها الفرد تتم من خلال مكونين رئيسيين هما: العقل والنفس، وعلى هذا الأساس فإن أصواتا كثيرة نادت في النصف الأخير من القرن العشرين بإعادة قراءة الموروث النقدي العربي الذي يشكل المنظومة الثقافية والفكرية والانتماءات العقائدية والدينية، وكذلك الهوية القومية والوطنية، وقد كانت هذه الدعوات نتيجة للمواقف المتباينة من النقاد العرب نحو المناهج النقدية الوافدة من القارتين الأوروبية والأمريكية.

**1- مفهوم المناهج النقدية (عن الماهية وآليات التفعيل):**

للوقوف على مفهوم هذا المصطلح لابد من تفكيكه إلى جزأين: (مناهج) و(نقدية)، فالمنهج في اللغة العربية هو الطريق الواضح، جاء في معجم المقاييس "النهج، الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق"(1)، وجاء أيضا في لسان العرب "طريق نهج: بين واضح، وأنهج الطريق: وضح واستبان، والمنهاج: الطريق الواضح"(2)، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(3)، هذا في اللغة، أما المنهج اصطلاحا: فإنه يعود إلى ترجمة كلمة (Method) ويعني "الطريقة أو الأسلوب أو الكيفية التي يصل بها الباحث أو العالم إلى نتائجه، فهو وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"(4)، والمنهج العلمي هو "خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها".(5)

وعلم المناهج هو الدراسة المنطقية والمنظمة، التي تنظم وتحدد المناهج أو مبادئ المناهج المتبعة في الوصول إلى الحقائق؛ موضوعه البحث في بناء نسقي، أي بنظام (باستدلال واستقراء، بتفكيك وتوليف، بجمع ونقد) وأسلوبه العمليات الإجرائية الملازمة للبحث العلمي في مختلف مراحله (الفرضية، الملاحظة، التحقق أو الاستنتاج).(6)

هذا وإن التعريفات التي تناولت مصطلح (المناهج) تعددت بتعدد منطلقاتها وتخصصاتها العلمية، ويمكن أن نقول: وبالرغم من تعددها إلا أنها تتداخل بشكل كبير لأن المنهج هو السبيل الذي يسلكه الباحث العلمي ليتوصل إلى نتائج محددة، ولذلك فإن كل تخصص علمي في كل من العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية يغلب المصطلحات التي تنتمي إلى حقله المعرفي وتخصصه العلمي، ومن ثم فإن علم المناهج في العلوم الإنسانية يتحدد مجالها النقدي في مضمون النص الأدبي والعملية الإبداعية الخلاقة وبالأحرى في المحاولة للوصول إلى قراءة ثابتة للنص يتناسل عبرها المعنى الذي يصاحبه إعمال العقل والخيال، والعواطف والمشاعر.

وأما الشق الثاني من المصطلح (نقد) فإنه يعني في مفهومه العام تمييز جيد الشيء من رديئه، قال في لسان العرب "والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها"(7)، ومن هذا التعريف اللغوي نستشف التعريف الاصطلاحي، ومن ثم فإن النقد هو تتبع الجوانب الفنية والجمالية في الإنتاج الأدبي وتمييز جيد النصوص من رديئها عن طريق الشرح

والتحليل ثم يأتي بعد ذلك الحكم عليها، وهذا التعريف قد ساد التفكير النقدي عقودا طويلة من الزمن، ثم أخذ المصطلح يتطور مع تطور الدراسات النقدية حتى يومنا هذا.

ويقوم النقد الأدبي على عمليتين أساسيتين هما:

أ- التفسير: وهنا يقف القارئ على ما في النص من قيم جمالية مثل: الصور، والألفاظ والجوانب الإيقاعية، ويوضح العلاقات الفنية والمعنوية بين عناصر النقد.

ب- التقويم: ينطلق القارئ في هذه الخاصية من الخبرة والممارسة، ومن ثم يقوم بإصدار الحكم العام على العمل الأدبي، وفي هذا الصدد يقول "جميل حمداوي": "النقد هو عملية وصفية تبدأ بعد عملية الإبداع مباشرة، وتستهدف قراءة الأثر الأدبي ومقاربته قصد تبيان مواطن الجودة والرداءة".(8)

وانطلاقا من هذا المفهوم فإن العملية النقدية هي إبداع ثان للنص الأدبي، وهنا يكمن الجانب الإيجابي للعملية النقدية، لأن عملية الإبداع الثانية تجعل المحتوى للعمل الأدبي يتناسل ويتسم بالحركية والانفتاح، ويدفع النص من الجمود إلى الخلود، وبذلك تستطيع الكتابة النقدية أن تخدم المجتمعات البشرية وتنمي فكرها وترقي ثقافتها، يقول الناقدان الفرنسيان "كارلوني"و"فيللو" في هذا الصدد: النقد الأدبي هو "دراسة الأدباء القدامى أو المعاصرين وتفحص مؤلفاتهم بغية توضيحها وشرحها وتقديرها حق قدرها".(9)

**مكانة العلوم الإنسانية بين العلوم المعاصرة:**

استطاعت العلوم الإنسانية أن تفرض نفسها في الأبحاث العلمية زمن النهضة العلمية في العالمين الغربي والعربي، وظل الأمر كذلك إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث شهد العالم تحولات جذرية في مجال الاكتشافات في العلوم التجريبية، واستطاعت هذه الأخيرة أن تزاحم العلوم الإنسانية وتأسر عقول المهتمين بالأبحاث العلمية، وفي هذه الأثناء كتب الروائي البريطاني "تشارلز بيرسي سنو" صفحات -لا تتعدى الإحدى والخمسين صفحة- نشرها في كتيب أثار به جدلا كبيرا، لأنه يكاد أن يتنكر للعلوم الإنسانية واعتبرها "نشاطا عقليا يفتقر إلى الدقة والصرامة، وثقافة عقيمة لا تضيف الكثير أو القليل إلى رفاه أولئك الذين يعيشون في بلدان تعاني من جراء التخلف الاقتصادي"(10)، ومن الطبيعي أن يغتاظ أصحاب العلوم الإنسانية من هذه الدعوى التي زعمها " سنو " ووصفوه بالرجل الروائي الفاشل والكيمائي الضعيف الذي جهل ما يدور في العام الذي حوله.

وأمام هذا السجال بين أصحاب العلوم الطبيعية وأصحاب العلوم الإنسانية تولدت همة عالية وإرادة قوية في كلا الاتجاهين، وعرف مجال البحث العلمي تطورا هائلا بعد منتصف القرن العشرين.

أطلق النقاد على هذه المرحلة اسم الحداثة ثم ما بعد الحداثة وانفتح العالم العربي على النظريات التي ظهرت في القارتين الأوروبية والأمريكية، ولعبت الترجمة دورا كبيرا في الانفتاح بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر، وقد رسم "بسام بركة" خطا بيانيا لعملية الترجمة من اللغات العالمية إلى اللغة العربية خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وأكد أن العلوم التطبيقية تتقارب مع العلوم الإنسانية في نسبة الترجمة، وأن "أهم المواضيع التي اهتم بترجمتها اللبنانيون هي العلوم التطبيقية بنسبة 30 في المئة...، وهناك بنسبة تعادلها تقريبا موضوع الأدب وتقنيات الكتابة بنسبة 29 في المئة، ويحتل المرتبة الثالثة موضوع العلوم الاجتماعية بنسبة 16 في المئة".(11)

وبناء على هذه المعطيات فإن العلوم الإنسانية تحضى بمكانة هامة في ميدان المشتغلين بالبحث العلمي في الجامعات العالمية والعربية، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تصبح في يوم من الأيام تاريخا ماضيا يلقى به في أرشيفات الأمم، وهنا يستوقفنا تساؤل مهم في زمننا الحاضر، وهو كيف يمكننا أن ندفع العلوم الإنسانية ونجعلها محورا أساسيا في دفع الثقافة الإنسانية المعاصرة نحو التطور الإيجابي؟ وللإجابة على هذا التساؤل فلابد أن ننطلق من النظرية التي تربط الأدب بالبيئة والمجتمع، لأن الاتجاهات النقدية المعاصرة فصلت النص عن جميع العوامل الخارجية التي أنتجته، واشتغلت بمكوناته الداخلية، وهذا ما دفع بنقاد القرن الحادي والعشرين إلى إعادة النظر في دراسة مناهج العلوم الإنسانية، وأصبح من الضروري أن تتحول هذه العلوم إلى خدمة المجتمعات البشرية، خاصة مع هذا التطور الهائل في الوسائل التكنولوجية في عالم الاتصال المعاصر، ومن ثم فإنه يمكن لهذا النوع من العلوم أن يؤثر في العقل البشري ويحدث فيه تغيرا إيجابيا نحو التقدم الفكري والتطور الحضاري.

**2- مفهوم الدراسات الثقافية:**

حضيت الدراسات الثقافية في العقود الأخيرة باهتمام بالغ من المشتغلين في مجال النقد، ويعود ظهور هذه الدراسات إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتطورت خطوة بعد أخرى حتى ارتبطت بمجال النقد، وأطلق "فنسنت ليتش" دعوته التي دعا فيها إلى "نقد ثقافي ما بعد بنيوي" ليقوم بدور مفقود –حسب رأيه- في ميادين البحث المعاصرة.

وقد تجاوزت هذه الأفكار المطروحة موقعها الجغرافي في الولايات المتحدة الأمريكية إلى العام العربي، وأول من تأثر بها وحاول أن يحولها إلى نظرية نقدية معاصرة هو الناقد السعودي "عبد الله الغذامي"، ومن ثم توسعت دائرة هذا الاتجاه

النقدي خاصة على رأس الألفية الثالثة، وفيما يأتي نشير إلى بعض المفاهيم التي رافقت الدراسات الثقافية في العالم الغربي ثم في العالم العربي.

**الإشارات الأولى في العالم الغربي:**

يتناول صاحبا كتاب "دليل الناقد الأدبي" مفهوم الدراسات الثقافية، ويعترفان أنها ليست وليدة الحاضر، وإنما تعود إلى العصور الأولى التي دونت فيها مختلف العلوم، وتشترك في هذا الأمر الثقافة العربية مع غيرها من ثقافات العالم، وما يميز الدراسات الثقافية المعاصرة أنها استفادت من المناهج النقدية التي رافقت الحداثة وما بعد الحداثة، من البنيوية، والنقد النسوي والتحليل النفسي، والدراسات الإثنية والأنثروبولوجية.

ومن ثم فإن الدراسات الثقافية تبنت "دور مساءلة العلوم المنتمية إلى الحقل الاجتماعي وعلوم الإنسان، واستجوبت ممارسات النقد الأدبي التقليدية، وممارسات النظرية الجمالية، ولعبت فيها دورا حاسما، وهذا ما يجعلها إفرازا للنظرية البنيوية وما بعدها"(12)، وهذا التأثر الذي أحدثته العلوم المذكورة في الثقافة هو الذي أعطاها توجها جديدا في الدراسات الأكاديمية المعاصرة.

ومصطلح الثقافة يحمل مفهوما فضفاضا وعائما لا يمكن حصره في تعريف محدد، وتدور معانيه اللغوية على إدراك الشيء والظفر به قال "ابن منظور": "رجل ثقف، إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به، ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم"(13)، ثم أخذت الثقافة تتعالق مع أصناف المعرفة والفنون، وأجمع ما قيل فيها في التعريفات المعاصرة أنها: الأخذ من كل علم بطرف، أو هي التمكن من العلوم والآداب والفنون.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الثقافة لها صلة قوية بالمجتمعات المعاصرة، ذلك لأن الوسائل التواصلية الحديثة استحكمت على الذهنية البشرية، وخاصة طبقة الشباب، ولهذا فإنه جدير بالشعوب العربية أن تهتم بتطوير ثقافتها واتخاذ أسباب المحافظة على هويتها.

ونرى أنه من المستحسن أن نورد في هذا الصدد بعض التعريفات التي أطلقها العلماء الغربيون على مفهوم الثقافة للوقوف على دلالة مفاهيمها ولفع الثقافة العربية إلى مواكبة الحضارة العالمية المعاصرة، يقول "يوري لوتمان" في تعريف الثقافة: "ثمة طرق كثيرة لتحديد مفهوم الثقافة ولكن لا يثبط همتنا – سعيا إلى مفهوم مرتضى- اختلاف الفحوى الدلالي لمفهوم الثقافة في الأدوار التاريخية المتباينة، ولاختلافه كذلك بين الدارسين في زمننا هذا إذ استقر لدينا أن معنى الاصطلاح إنما يستنتج من نمط الثقافة نفسها، ذلك أن كل ثقافة تاريخية إنما تنتج نمطا ثقافيا خاصا يميزها، لهذا فإن الدرس المقارن لدلالات مصطلح الثقافة عبر القرون يمنح مادة غنية تعين في تصنيف أنماط الثقافات".(14)

ويؤكد هذه الفكرة التي ذهب إليها "يوري لوتمان" في مفهوم الثقافة كل من: "هارلميس"و"هولبورن" وهما متخصصان في علم الاجتماع، حيث يقولان: "يرى "ريموند وليم" أحد أهم المنظرين في الثقافة في كتابه «Keywoud» يرى أن الثقافة تعد واحدة من أكثر المفردات تعقيدا في اللغة الإنجليزية، فكلمة ثقافة استعملت بطرق مختلفة سواء من جانب علماء الاجتماع أو في الأحاديث اليومية".(15)

**التوجه الثقافي نحو العالمية:**

اتخذت الثقافة أنماطا متعددة فتداخلت مع كثير من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وأخذت طريقها نحو محو الحدود بين الثقافات المختلفة، وهو ما أطلق عليه "سايمون ديورنغ" مصطلح العالمية، ذلك أنه: "قد تكون السمة الأبرز للدراسات الثقافية اليوم هي طريقة توجهها نحو العالمية بموازاة التجارة والمال والاتصالات والنظام الجامعي إجمالا،... وهذا يعني أنك أيا كان موطنك فسوف تجد أناسا في هذا المجال يعملون في مادة تخص "ثقافة أخرى" غير ثقافتك".(16)

تأتي هذه الرؤية التي طرحها "سايمون ديورنغ" في ظل تحديات العولمة الثقافية التي قامت بقلب المرتكزات الثقافية للأمم، وفرض نظام معين يهيمن على الثقافة العالمية، ويخضع هذا النظام إلى المركز الأحادي الذي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ساعد على ذيوع هذا التوجه للدراسات الثقافية المعاصرة الوسائل التكنولوجية الحديثة، حيث قامت بمحو الحدود الإقليمية والدولية، واتجهت ثقافة الشعوب نحو تحقيق التقارب الفكري والتبادل الثقافي.

**3- علاقة النقد بالدراسات الثقافية:**

ارتبط النقد في مفهومه العام بعلوم تنتمي إلى مجالات معرفية مختلفة، وذلك لأن العملية النقدية هي عملية إبداعية ثانية ومن ثم فإنه يمكنها أن تدخل صنوفا معرفية كثيرة، ويكمن الدور النقدي لهذا العمل في توجيه المجتمعات إلى ما تمر به من تحديات وما يقع فيها من تناقضات، وتقصي التغيرات التي تطال القضايا الثقافية، ومن ثم يصل العمل الإبداعي إلى تجاوز تداعيات الوقوع في الأزمات الثقافية والاجتماعية والتردي في مهالك التخلف في الميادين المختلفة.

ولم تكن الدراسات الثقافية بعيدة عن مجال النقد المعاصر، حيث توجه كثير من النقاد نحو الكتابة في الميدان الثقافي، وإن العالم اليوم بحاجة إلى الكتابة النقدية الجادة التي تنقذ الثقافة العربية والعالمية في آن واحد، ذلك لأن شعوب العالم اليوم – وخاصة شريحة الشباب- يعانون من أزمات فكرية وثقافية، دفعتهم إلى الوقوع في فراغات نفسية، فتسلل

إلى ذواتهم اليأس والقنوط والغفلة عن الجوانب التفاؤلية والإيجابية في الحياة، وهنا يأتي الدور الفعال الذي تؤديه العملية النقدية في مجال الدراسات الثقافية.

وقد حاول اليساريون في الولايات المتحدة الأمريكية أن يفصلوا بين الإنسانيات والدراسات الثقافية، وزعموا أن الفنون والآداب أصبحت بعيدة عن المجتمع وتطلعاته، وأن الدراسات الثقافية هي التي ستهيمن على التفكير الإنساني خلال القرن الواحد والعشرين، لأن الثقافة لها صلة مباشرة بالمجتمع بطبقتيه؛ الأكاديمية والشعبية، وفي هذا الصدد يشير "مايكل دينينغ" إلى أن الدراسات الثقافية ينبغي ألا نعتبرها تخصصا جديدا، ولكن بوصفها نقدا للتخصصات، وبذلك تستطيع أن تكتب لنفسها البقاء والنفع للمجتمعات، "واتباعا لمثال النقد الماركسي للاقتصاد السياسي، فإن معظم التحركات المبكرة باتجاه الدراسات الثقافية بدأت باعتبارها نقد المعارف التخصصية؛ وإذا كانت الدراسات الثقافية لا تزال "نقد الأدب الإنجليزي" و"نقد التاريخ" و"نقد الأنثروبولوجيا" و"نقد علوم الموسيقى" و"نقد تاريخ الفن"، ونقد مفهوم الثقافة ذاته، فسوف تبقى فضاء فكريا نافعا ومهما".(17)

ولما كانت الدراسات الثقافية نقدا للمعارف التخصصية استطاعت أن تجلب عددا من النقاد إلى الكتابة في مجالها خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ولابد من الإشارة إلى أن الدراسات الثقافية تختلف في خلفياتها ومنطلقاتها التي تأسست عليها عن النقد الأدبي في مراحله القديمة والحديثة، إلا أن السعي إلى التجديد العلمي والمعرفي جعل النقد ينحاز إلى الدراسات الثقافية، وقد تجاوزت الدراسات النقدية الثقافية موقعها الجغرافي وانتقلت إلى العالم العربي، وتبنى هذه القضية –كما أسلفنا- الناقد السعودي "عبد الله الغذامي" وأطلق على مشروعه الذي جاء به تسمية "النقد الثقافي".

وبما أن الثقافة تتشابك في مفهومها العام مع تخصصات علمية ومعرفية عديدة، لأن مفهومها واسع وفضفاض، فإن النقد الثقافي هو كذلك يتعالق مع مجالات علمية واسعة، يتجاوز في وظيفته النقدية وظيفة النقد الأدبي الجمالي، وذلك لأن التخصصات النقدية التي جاءت فيما بعد الحداثة تأثرت بالأفكار التي طرحها "ميشال فوكو" (الحقيقة والسلطة) عن (أنظمة الحقيقة)، وما طرحه "رولان بارت" في كتبه النقدية، ثم الفلسفة التفكيكية التي طرحها "جاك دريدا" خاصة فيما كتبه (أن لا شيء خارج النص)، وإننا نجد تلازما كبيرا بين التوجهات النقدية التي جددت في مجال النقد في مرحلة ما بعد الحداثة وبين التوجه السياسي الذي انفتح في العوالم الغربية على النظام الديموقراطي، وكل ذلك يعود إلى الانفتاح الفكري والثقافي نحو المجتمع واستشراف طموحاته ومستقبله.

**السعي نحو تحقيق التكامل:**

إذا كان ظهور الدراسات الثقافية وبعدها النقد الثقافي نتيجة لتراكمات معرفية أفرزتها اتجاهات نقدية في مرحلة الحداثة مثل البنيوية والأسلوبية والسميائية والتفكيكية ونظرية التأويل والنقد النسوي وما إلى ذلك، فإنه يتعين علينا اليوم أن نستفيد من كل هذه الاتجاهات النقدية الحديثة والمعاصرة، وأن نسعى في ذلك إلى تحقيق التكامل المعرفي بين ما هو أدبي وما هو ثقافي، وبين الاتجاهات التي تعنى بالجوانب الجمالية في النصوص والتي تعنى بالأنساق الثقافية المضمرة التي تتحكم بطريقة أو بأخرى في إنتاج النصوص الأدبية والثقافية، كما يتعين علينا ونحن في عصر الثقافة والرقمنة والذكاء الاصطناعي أن نوظف هذه الوسائل في خدمة العلوم الإنسانية برمتها، والهدف في ذلك كله هو إحداث التغير الاجتماعي والثقافي نحو الرقي الفكري والتطور الحضاري، وبسط ثقافة الوسطية والاعتدال والتبادل الثقافي والحواري بين أفراد المجتمعات الإنسانية بعامة والعربية على وجه الخصوص.

**ثانيا: التحولات النقدية والثقافية في الدراسات العربية المعاصرة**

لقد كان للحداثة الغربية أثر واضح في النقد العربي المعاصر، ذلك لأن النشأة الأولى للمناهج الجديدة تعود إلى الساحة الغربية فكان لزاما على الثقافة العربية أن تنفتح على هذه المناهج الجديدة، متخذة في سبيل ذلك طرقا متعددة للوصول إلى الغاية والهدف المنشود، ويأتي في مقدمة ذلك التبادل الثقافي والعلمي بين الجامعات العربية والأوروبية، وكذلك ترجمة الدراسات الجديدة التي تظهر في العالم الغربي، وبالرغم من أن العلوم الإنسانية في العالم العربي حققت نجاحا كبيرا وتقدما واضحا نتيجة هذا الانفتاح، إلا أنها لم تصل إلى تحقيق الاستقلالية في النظرية والمنهج من أجل المحافظة على الهوية الوطنية، فظلت الدراسات العربية المعاصرة تعاني من إشكالات عديدة، منها: إشكالية تعدد المصطلحات، ومنها التباين في المرجعيات المعرفية والخلفيات الفلسفية بين الثقافة الغربية والثقافة العربية، ومنها أيضا إشكالية الترجمة من لغة إلى أخرى، بحيث أن هذه العملية تواجه صعوبات في نقل المعاني المقصودة من النص الأول إلى النص الثاني المترجم إليه وغير ذلك كثير، وفيما يأتي سنأخذ الوسائط والآليات التي اعتمد عليها النقد العربي في إرساء قواعد التحولات النقدية والثقافية في العلوم الإنسانية المعاصرة.

**1- التراكم المعرفي وفلسفة التفكيك وأثرهما في مسارات النقد المعاصر:**

**أ- "سعيد يقطين" والحداثة النقدية:**

يعد الناقد المغربي "سعيد يقطين" من الذين قدموا تجارب نقدية رائدة في الدراسات الأدبية المعاصرة، فقد برز في الكتابة السردية بشكل كبير، ومن مؤلفاته في هذا المجال: تحليل الخطاب الروائي، انفتاح النص الروائي، الرواية والتراث

السردي، وقضايا الرواية العربية الجديدة، وهذا لم يمنعه من طرح بعض الآراء النقدية في الثقافة العربية لدفعها نحو تحقيق التغير الاجتماعي والثقافي لمواكبة التحولات العالمية المعاصرة، ومن ذلك كتابه الذي ألفه مع "فيصل دراج" والموسوم بـ "آفاق نقد عربي معاصر".

دعا "سعيد يقطين" في هذا الكتاب إلى تغيير النظرة التقليدية للنقد العربي بنظرية جديدة تقوم على الرؤية العلمية التي تجمع بين الآراء الاجتهادية الجادة وبين المرجعية المعرفية الأصيلة، ومن ثمن فإن العلوم الإنسانية والاتجاهات النقدية والثقافية تتجدد وتتماشى مع ثقافة المجتمع.

وقد عمد "سعيد يقطين" في طرحه هذا إلى التأسيس لرؤية نقدية معاصرة، ووضع لها مبادئها وفقا لما يأتي(18):

يضع "سعيد يقطين" الأساس الأول الذي أقامه على الأصول المنهجية والمعرفية (إبستيمولوجية)، ويتعلق هذا الأساس بالوضع الاعتباري للنقد المعاصر من جهة:

- علاقة النص الأدبي (الموضوع).
- علاقة المرجعية النقدية (الخلفية المعرفية).

وبعد ذلك فإنه يركز على تحقيق التراكم المعرفي حتى يصل إلى حد الانفجار، ومن ثم فإننا نصل إلى معرفة جديدة، ولكن كيف يمكن لنا أن نوظف الخلفية المعرفية توظيفا إيجابيا؟ إن ذلك يكون من خلال:

- إنتاج معرفة جديدة (الإنجاز).
- الفعل الثقافي في النص والمجتمع (الفعل).

وينضاف إلى هذه الآليات المذكورة آلية الوسائط التكنولوجية والرقمنة وكل ما له علاقة بالذكاء الاصطناعي، فمن الضروري أن تتفاعل هذه الآليات مع بعضها تفاعلا إيجابيا "وأكتفي بالإشارة إلى أن آفاق الإبداع العربي مفتوحة على ما تقدمة الإمكانات التكنولوجية الحالية من أدوات ووسائل للإنتاج والتلقي".(19)

وحتى تصل الثقافة العربية إلى إحداث التغيير الاجتماعي، فإنه من الضروري أن تتجاوز الانغلاق على نفسها، وتنفتح على النظريات العالمية الجديدة، ويؤكد "سعيد يقطين" هذه القضية فيدعو إلى اعتماد استراتيجية جديدة تضمن الانفتاح على:

- العلوم اللسانية والأدبية والإنسانية الغربية.
- السميائيات.
- الاشتغال بالعلامة السردية غير الأدبية.
- الاشتغال بالصورة والانفتاح على النقد الفني.
- الانفتاح على الوسائط المتفاعلة (النص المترابط، النص الإلكتروني).

**ب- فلسفة التفكيك وأثرها في الثقافة العربية المعاصرة:**

بعد ظهور الوسائل التواصلية الحديثة دفعت الثقافة العالمية إلى الحوار الثقافي فحصل ما يسمى فيما بعد بـ "التثاقف أو المثاقفة"، وامتدت جسور التواصل بين (الأنا) العربية و(الآخر) الغربي، وقد كانت الثقافة الغربية تنظر إلى الآخر بنظرة مشحونة بفكر التعالي والازدراء، حتى جاء "إدوارد سعيد" فكتب بأسلوب تجاوز به الخطاب الكولونيالي، وفتح نافذة جديدة في الثقافة الأمريكية ونظرتها إلى الثقافة العربية، ومن ثم فإن هذه النظرة الجديدة كشفت آفاقا واسعة من الثقافة التي كانت مهمشة، فحدث تغير في ثقافة الفرد والمجتمع والمنظومة القيمية والسلوكية بوجه عام، ولذلك ينبغي أن ننظر إلى العلاقة بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر من جانبين اثنين هما(20):

أ- الذات مؤثرة في الآخر (النزعة الإنسانية مكونا جوهريا من المكونات الذاتية).

ب- الذات متأثرة بالآخر (شهوة المعرفة وإغراءات التنوير).

وتعود أصول مصطلح المثاقفة إلى علمي الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا الذين يبحثان في اجتماع الإنسان وثقافته، يقول "منير بعلبكي": "التثاقف هو تبادل ثقافي بين شعوب مختلفة وبخاصة تعديلات تطرأ على ثقافة بدائية نتيجة لاحتكاكها بمجتمع أكثر تقدما".(21)

ومن هذا المنطلق فإن الثقافة العربية تأثرت بفلسفة التفكيك التي طرحها "جاك دريدا"، وأحدث تحولا جذريا في مسار النقد الأدبي في الدراسات العالمية، فقام بتفكيك البنى التركيبية للنص الأدبي، ودفع الدراسات المعاصرة إلى الاشتغال بالثقافة الشعبية، ودمج النقد السياسي في النقد الجمالي، وقد برز في الدراسات العربية التفكيكية أسماء لامعة نذكر منهم: "منذر عياشي" الذي ترجم كتاب "أطياف ماركس"، وهو محاضرات ألقاها "دريدا" عام 1993 في جامعة كاليفورنيا، و"كاظم جهاد" الذي ترجم مقابلة مع "دريدا" ووسمها بـ "هل هناك لغة فلسفية"، وأيضا "جابر عصفور" الذي قام بعدة ترجمات منها مقالة "دريدا" "البنية العلامة اللعب"، ونشرها في مجلة فصول، المجلد الحادي عشر.عام 1992.(22)

وتعد بلاد المغرب الأقصى الأرض الخصبة التي تلقت هذه الفلسفة النقدية والثقافية الجديدة، ونذكر من النقاد المغاربة "عبد الكبير الخطيبي" الذي لازم "دريدا" وتأثر بفلسفته التفكيكية.

دعا "عبد الكبير الخطيبي" إلى تجاوز التراثية والعقلانية التي سادت الثقافة العربية دهورا متعاقبة، والذهاب إلى نقد جذري يتصف بالجدة المطلقة، ويرتكز هذه النقد الجديد على الاختلاف، وقام بتفصيل هذا الاختلاف الذي دعا إليه كما يلي(23):

- الاختلاف الاجتماعي: بحيث يرمي الفكر إلى تقويض البناء النظري الذي يقوم عليه التفاوت الاجتماعي وأسسه الأخلاقية.
- الاختلاف الثقافي: فيسعى الفكر إلى تقويم الثقافات التي نبذها العالم العربي وهجرها.
- الاختلاف السياسي: فيعيد الفكر النظر في دعائم التغيير وأسس الانفصال حسب ما استجد من تدرج بين مختلف السلطات المحلية، ومن تعقد في الوضعية الدولية.
- اختلاف الوجود العربي: لا من حيث هو وجود تغلفه أيديولوجية الكلية والوحدة، بل على أنه وجود يتجاوز التراثية والسلفية، آخذا بعين الاعتبار مسألة العلم والتقنية.

وعلى هذا الأساس فإن التغير الاجتماعي والثقافي يمكن أن تصل إلى الشعوب العالمية والعربية على وجه الخصوص انطلاقا من الاهتمام بالمعرفة، ولإنتاج معرفة جديدة لابد من حصول التراكم المعرفي حتى يصل إلى حد الانفجار، ومن ثم يمكننا أن ننتج ثقافة تتجاوز الثقافة السائدة والمألوفة، فيتحقق الإنجاز، وتجدر الإشارة إلى أن الثقافة الجديدة وحدها لا تحقق التغير الإيجابي في المجتمعات، ولذلك فإن الثقافة تستدعي تفعيلها في النصوص والمجتمعات، وبهذه وتلك نصل إلى النقطة الهدف التي ندندن حولها.

ويضاف إلى ما ذكرنا القيام بعملية التقويض للبناء الاجتماعي والثقافي لطرح السلبيات من الفكر العربي، مثل التطرف والإرهاب والغلو في العقيدة واستباحة حرمات الآخرين، وأيضا التطرف الاجتماعي والإهمال واللامبالاة في الوظائف والمسؤوليات، ومن كل الأشكال والمظاهر السلبية المتعلقة بالإنسان والبيئة، وبعدها نقوم بتحلية الفكر العربي بالثقافة الجديدة التي تقوم على الحوار بين ثقافات الأمم والشعوب، وتوظيف أحدث التقنيات التكنولوجية المعاصرة، لبناء الأمن الفكري وتحقيق السلم الاجتماعي والتطور الحضاري.

**2- الحوار الثقافي والعولمة الثقافية:**

لقد أشرنا إلى بعض النقاد العرب المعاصرين الذين طرحوا أفكارا جادة في بعث الثقافة العربية من الركود، وتنميتها لتواكب التحولات المعرفية العالمية، وتواجه تحديات العولمة والتطور التكنولوجي في القرن الحادي والعشرين، وفي هذا العنصر من الدراسة نشير فيه إلى ضرورة من ضرورات الثقافة العالمية المعاصرة، والتي نعني بها قضية الحوار الحضاري والثقافي بين شعوب الكرة الأرضية، فقد كانت الثقافة الغربية تنظر إلى الثقافة العربية بنظرة الدونية والتعالي عليها، وهذا ما بعث الكراهية وغذى الحقد بين سكان ضفتي البحر الأبيض المتوسط، ونتج عن ذلك ظهور التيارات الفكرية المتطرفة والإرهاب الدولي الذي ينذر بخراب البنى التحتية وزوال الثوابت الوطنية، وانتقلت هذه التقلبات العالمية إلى عقر القارة الأوروبية وغيرها، مما دفعهم إلى تغيير السياسة المنتهجة منذ عقود من الزمن، ورأوا أن المخرج من هذه الأزمات العالمية هو الحوار بين الثقافات والحضارات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القضية وسماها بالمجادلة بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.(24)

ولذلك اتجه بعض النقاد والكتاب المعاصرين إلى الكتابة في هذا المجال الذي له صلة مباشرة بالثقافة الفردية والجماعية في آن واحد.

**مفهوم الحوار الثقافي:**

الحوار هو الرجوع إلى لغة التفاهم والعقل، ويعني أيضا التخاطب وتبادل الكلام والرأي بغية التفاهم والوصول إلى رأي حصيف يجنب الأطراف المتحاورة الوقوع في الخلاف واستعمال القوة المادية التي غالبا ما يكون مآلها إلى التدمير والخراب.

والثقافات تتداخل وتتحاور فيما بينها، وتتلاقح بشكل عفوي، ويتم ذلك عن طريق الاحتكاك الحضاري عبر قنوات ووسائط مختلفة، ومن التعريف اللغوي نستنتج أن الحوار الثقافي بين الحضارات يؤدي إلى إمكانية التعايش السلمي بين الشعوب، وتحقيق التكامل المعرفي والاقتصادي، ومن ثم تتجاوز الأمم مشاكل العنف والإرهاب التي تعانيها الشعوب المعاصرة في شتى أصقاع الأرض.

ويربط الباحثون المعاصرون الحوار بالثقافة حينا وبالحضارة حينا آخر، ذلك لأن الثقافة والحضارة مصطلحان يتداخلان في كثير من النقاط، والذي يهمنا في هذا الصدد هو ضرورة العودة إلى توظيف ثقافة الحوار بين الأنا والآخر، بين شعوب العالم وإن اختلفت أجناسهم وتباعدت أقاليمهم، لأن الأصل في البشرية أنهم يعودون إلى الأب الأول "آدم" عليه السلام، والله عز وجل يشير إلى هذه القضية المحورية والأساسية بين الشعوب فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(25)، وعليه فإن التحولات المتسارعة التي تشهدها البشرية في عالم اليوم، خاصة المجتمعات العربية التي انقسمت على نفسها وتباعدت في مقاصدها وتوجهاتها، فتناحرت فيما بينها، كل ذلك يحتم عليها أن تحقق الحوار الثقافي ابتداء مع نفسها ومنهاج ربها وخالقها، ثم مع الشعوب والأمم الأخرى، ويمكن حصر ذلك فيما يلي:

1- التلاقح بين الثقافات أمر عفوي وضروري في عالم اليوم.
2- التفاعل الإيجابي مع جميع الثقافات.
3- ضرورة التبادل التقني والتكنولوجي بين الثقافات.
4- لا يعني الحوار بين الثقافات إلغاء الشخصية وانمحاء الهوية، بل لابد من تثبيت المرجعيات واحترام الخصوصيات الثقافية لكل أمة.
5- ضرورة البحث عن سبل التحاور مع الذات قبل التحاور مع الآخرين، وهذه قضية جوهرية يجب تحقيقها في الثقافة العربية والإسلامية.
6- الحوار بين الثقافات هو سبيل بناء الحضارات، ومن ثم تنتقل الأمم إلى نظام عالمي جديد ينبني على أسس التعايش بين الهويات الثقافية والحضارية.

ومجمل الكلام في هذا العنصر من الدراسة أن الحوار بين الثقافات والحضارات مطلب ضروري في عالمنا المعاصر، خاصة مع هذه التغيرات التي تشهدها كثير من بلدان المعمورة في الأنظمة السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية، وبذلك تنتقل الأمم من الصراع والمواجهة إلى الحوار والاعتراف بالآخرين، وهذا هو عين ما جاءت به الرسالة السماوية التي تنزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين.

**العولمة الثقافية:**

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي في أواخر القرن العشرين ظهرت مصطلحات جديدة في الكتابة النقدية لتساير النظام العالمي الجديد، ومن أبرز هذه المصطلحات "العولمة"، وقد اتصلت هذه الأخيرة في البداية بمجال الاقتصاد، وبجعل الاقتصاد العالمي يخضع للقوة الرأسمالية التي تهيمن عليها الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقل المصطلح إلى مجال الاتصال لعولمة العالم بالتكنولوجية وتقنية الاتصال التي تأتي من الغرب إلى الشرق أو من الشمال إلى الجنوب، وبعد هذين الفرعين انتقل المصطلح إلى الثقافة وما ينتجه فكر الإنسان، فقامت القوى الغربية بعولمة ثقافتها وفرض لغتها على سائر بلدان العالم، ومن ثم فقد تأثر ثقافات الشعوب بالثقافة الغربية واللغة الإنجليزية وما يتصل بهما من لباس ومأكل ومسكن وما إلى ذلك، وعليه فإن مصطلح العولمة يقترب من مفهوم "العالمية"، إلا أن الأول يتصف بالدينامية والثاني يتصف بالثبات.

وقد أثار مصطلح العولمة بجميع تفريعاته جدلا كبيرا خلال العقدين الأخيرين، ودفع الكتاب إلى إنشاء تصور جديد للعالم الذي تحكمه الوسائل التواصلية الحديثة، وعدُّوا ذلك "عملية تاريخية ومنطلقا جديدا للأحداث التاريخية الكونية المستقبلية، ونقطة تحول جديدة في التاريخ المعاصر تتجاوز الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي،... ضمن شبكة واحدة يطلق عليها اليوم اسم "العولمة" التي تبشر بمجتمع جديد من نتائجه التنوع والتعدد والابتكار والصعود المحير للتكنولوجيا".(26)

ويؤكد "إبراهيم الحيدري" في هذا السياق أن المستقبل تضبطه تحديات اقتصادية وثقافية مغايرة لما كانت عليه الثقافة التقليدية، وهذا يتطلب من الثقافة العربية أن تنهض بكل الوسائل العصرية المتاحة، لتحقق فهما أعمق وتعايشا أوسع ومشاركة أكثر فعالية، وهذا يدفعنا إلى إيجاد آليات جديدة للحاق بركب العولمة الثقافية السريع "وإذا كنا حريصين على الدفاع عن الذات والحفاظ على هويتنا وأن نكون جزءا فاعلا في هذا العالم، فعلينا أن لا نضع رؤوسنا في الرمال، فهذا القرن هو قرن الآمال العريضة ولكن بخيارات صعبة".(27)

وتعد هذه النظرة الحيدرية للعولمة نظرة إيجابية، والواقع أن العولمة بعامة والعولمة الثقافية بخاصة لها جانبان: أحدهما إيجابي والآخر سلبي، ذلك أن الهيمنة الثقافية الأحادية على العالم عبر التدفق المعلوماتي السريع ستجلب نظاما دوليا جديدا تحكمه المركزية الغربية، وينتج عنه ظهور ثنائية المركز والهامش التي تدفع الحضارات إلى صراعات وحروب حسب ما تنبأ به "صامويل هنتنجتون" في كتابه "صدام الحضارات"، ومن ثم فإن التوجهات النقدية المعاصرة قد أصبح لزاما عليها أن توجه تفكيرها النقدي إلى هذه التحولات المتسارعة لخدمة الفكر الإنساني والثقافة العربية على وجه الخصوص، وهذا في الحقيقة يضعنا أمام تحديات صعبة، لأن العولمة الثقافية تهدف إلى تقليص الحدود الجغرافية والإقليمية حتى يشهد المجتمع ثقافة واحدة.

وقد ذهب إلى هذا التصور للعولمة الثقافية الناقد والمفكر المغربي "عبد الإله بلقيز"، ويرى أنها تسعى لإزاحة الثقافة الوطنية من أجل فرض ثقافتها هي، ولا فرق في هذا بين مجتمعات الشمال والجنوب "إن هذه العولمة الثقافية لا تفرض

نفسها على العالم من طريق الحوار والإقناع، وإنما بأبشع أنواع العنف الرمزي والعدول الأدبي...،فكيف بما تفعله بالهوامش الثقافية: ثقافات المجتمعات المغلوبة على أمرها".(28)

وعلى هذا الأساس فإن العولمة الثقافية تمثل تحديا حقيقيا للهوية الثقافية العربية، لتمكُنها من فرض الثقافة الاستهلاكية التي تتعارض في نقاط كثيرة مع الثقافة العربية، إضافة إلى ذلك فإن العولمة الثقافية هي السبيل الوحيد الذي يمكنه أن يقتحم الفكر البشري ويخترق حصونه من غير استئذان، فيؤثر فيه بطريقة عفوية، لأنه يستهدف العقل والنفس والإدراك، فيحدث التفاعل بين هذه الحواس وما تستقبله من ثقافات "فلم يعد ممكنا اليوم الحديث عن ثقافة (أصلية) أو نقية كاملة لهذه الجماعة أو تلك في ظل عملية التداخل المتسارعة بين الثقافات البشرية".(29)

وبناء على ما تقدم فإن العولمة الثقافية تهدف إلى تجاوز الحدود الجغرافية والإقليمية للدول عن طريق وسائل الإعلام الحديثة، ومن ثم إخضاع الثقافة الإنسانية إلى نموذج مركزي واحد، وكان الهدف الأول لهذه العولمة هو المجال الاقتصادي ثم السياسي، وتعدى ذلك إلى المجال الثقافي، وقد شكل هذا التحول تحديا واضحا للثقافة والهوية العربية لاختلاف المرجعيات الثقافية بين الشرق والغرب، أو بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية، ولاشك أن مصدر الهيمنة الثقافية يعود إلى الغرب بوصفه عالما كان له السبق إلى اكتشاف التكنولوجيا المعاصرة والتحكم في تقنياتها، ذلك أن "الحداثة-العولمة- تعتبر أوروبية بامتياز، وهي عالمية من حيث انتشارها من خلال التغريب، وهي كونية من حيث الطموحات لتكسب شرعية لا مشروطة، عابرة للتاريخ وعابرة للثقافة".(30)

وعليه فإن مستقبل الثقافة العربية يلقي بثقله على النقاد والمفكرين من أجل دفع الثقافة العربية المعاصرة إلى مواكبة التحولات المتسارعة التي تتحكم فيها العولمة الثقافية، ولا مفر من ذلك، بهدف جعل العلوم الإنسانية سبيلا إلى إحداث التغير الثقافي والاجتماعي الإيجابي الذي يكفل للأمة العربية تقدمها الحضاري ورقيها الثقافي والاقتصادي لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين.

**خاتمـــة:**

بعد هذا الجهد الذي بذله الباحث في هذه الدراسة فإنه توصل إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

1- تعد المناهج النقدية وسيلة لتفكيك بنيات النصوص والوصول إلى جمالياته ومقاصده.

2- تقوم المناهج النقدية بدور فعال ومباشر في إحداث النقلة النوعية للثقافة والمعرفة الإنسانية لمواجهة التحديات الثقافية المعاصرة.

3- وقع السجال بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية مع مطلع الألفية الثالثة، وذلك بين من يرى تراجع العلوم الإنسانية أمام العولمة والتكنولوجيا المعاصرة، وبين من يرى عكس ذلك.

4- تميزت العلوم الإنسانية عن العلوم الأخرى في عملية الترجمة خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، وفقا للدراسة التي قدمها "بسام بركة".

5-لقد تحول الاهتمام النقدي من الدراسات الأدبية إلى الدراسات الثقافية تزامنا مع ظهور التيار اليساري الأمريكي الذي رأى أن المستقبل للدراسات الثقافية على حساب النقد الأدبي الجمالي.

6- تشكل العولمة نقطة محورية في الدراسات المعاصرة، وذلك لأنها حولت المسارات النقدية والثقافية بدفعها نحو التوجه إلى ثقافة عالمية واحدة.

7- تختلف الدراسات النقدية مع الدراسات الثقافية في المنطلقات والأسس، وهو ما أدى إلى وقوع انقسامات بين أنصار الدراستين في العالمين الغربي والعربي، ولا يزال الأمر كذلك إلى يومنا الحاضر.

8- ضرورة التوجه نحو تحقيق التكامل الثقافي والمعرفي بين العلوم الإنسانية وعلوم التكنولوجيا والاتصال المعاصرة، خاصة مع هيمنة هذه الوسائل على الأفراد والمجتمعات في كل بقاع الكرة الأرضية.

9- لبلوغ ثقافة جديدة لابد من تحقيق التراكم المعرفي حتى يصل إلى حد الانفجار كما ذهب إلى ذلك الناقد المغربي "سعيد يقطين".

10- يعد الحوار الثقافي وسيلة إيجابية وضرورية في إحلال الأمن الفكري والسلم الاجتماعي، خاصة مع ظهور التطرف الفكري والإرهاب في المجتمعات العربية المعاصرة.

11- ضرورة الاستفادة من الوسائل التواصلية الحديثة مع المحافظة على الهوية الوطنية واللحمة الاجتماعية، وذلك بقيام العلوم الإنسانية بدورها لتكسب الفرد العربي ثقافة واقية تحصنه من أخطار العولمة الثقافية، والتطرف الفكري والانحلال الخلقي والاجتماعي.

12- ونتيجة النتائج، فإن العلوم الإنسانية تكتسي بطابع الثبات والتحول، وهو ما يعطيها صفة الخلود، ومن ثم فإنه بإمكانها أن تؤدي دورا فعالا وأساسيا في تغيير ثقافة الشعوب والمجتمعات الإنسانية نحو الطريق الايجابي في الثقافة والعلوم والمعرفة بصفة عامة.

**هوامش البحث:**

(1) أحمد ابن فارس: معجم المقاييس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص1000 (كتاب النون).
(2) محمد ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2003، ص714.
(3) سورة المائدة، الآية: 48.
(4) ينظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983، ص195.
(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(6) ينظر: خليل أحمد خليل: معجم مفاهيم علم الاجتماع، معهد الانتماء العربي، بيروت، لبنان، 1996، ص123.
(7) محمد ابن منظور: لسان العرب، ص667 (باب النون)
(8) جميل حمداوي: منتديات ستار تايمز.
(9) كارلوني وفيللو: النقد الأدبي، ترجمة كيتي سالم، منشورات عويدات، ط2، بيروت، باريس، 1984، ص05.
(10) جيروم كيغان: الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن الحادي والعشرين، ترجمة صديق محمد جوهر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004، ص17.
(11) بسام بركة وآخرون: اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، الدوحة، قطر، 2013، ص45.
(12) ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص139-140.
(13) محمد ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص684 (باب الثاء).
(14) يوري لوتمان وبوريس أوسبنسكي: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، ترجمة سيزا قاسم ونصر أبو حامد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص133.
(15) هارلميس وهولبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد، مجلس دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2010، ص7.
(16) سايمون ديورينغ: الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، ترجمة ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015، ص21.
(17) مايكل دينينغ: الثقافة في عصر العوالم الثلاثة، ترجمة أسامة الغزولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013، ص191-192.
(18) ينظر: سعيد يقطين وفيصل دراج: آفاق نقد عربي معاصر، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص63.
(19) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(20) ينظر: عباس عبد الحليم عباس: خطاب المثاقفة وحوار الحضارات، شركة الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2017، ص13.
(21) منير بعلبكي: قاموس المورد، إنجليزي ـ عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1994، ص 24.
(22) ينظر: حفناوي بعلي: استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، دراسة نقدية مقارنة، دروب للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016، ص113-114.
(23) عبد الكبير الخطيبي: النقد المزدوج، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2000، ص12-13.
(24) سورة النحل، الآية: 125.
(25) سورة الحجرات، الآية: 13.
(26) إبراهيم الحيدري: النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص392.
(27) المرجع نفسه، ص395.
(28) ينظر: عبد القادر الرباعي: جماليات الخطاب في النقد الثقافي، رؤية جدلية جديدة، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2015، ص167-168.
(29) تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص20.
(30) جيرار ليكلرك: العولمة الثقافية، الحضارات على المحك، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ص483.

قائمة المصادر والمراجع:


- القرآن الكريم.

1. إبراهيم الحيدري: النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 2012.
2. أحمد بن فارس: معجم المقاييس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (كتاب النون).

3. بسام بركة وآخرون: اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، الدوحة، قطر، 2013.
4. تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 1999.
5. جميل حمداوي: منتديات ستار بايمز.
6. جيرار ليكلرك: العولمة الثقافية، الحضارات على المحك، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004.
7. جيروم كيغان: الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن الحادي والعشرين، ترجمة صديق محمد جوهر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004.
8. حفناوي بعلي: استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، دراسة نقدية مقارنة، دروب للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016.
9. خليل أحمد خليل: معجم مفاهيم علم الاجتماع، معهد الانتماء العربي، بيروت، لبنان، 1996.
10. سايمون ديورينغ: الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، ترجمة ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015.
11. سعيد يقطين وفيصل دراج: آفاق نقد عربي معاصر، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، 2013.
12. عباس عبد الحليم عباس: خطاب المثاقفة وحوار الحضارات، شركة الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2017.
13. عبد القادر الرباعي: جماليات الخطاب في النقد الثقافي، رؤية جدلية جديدة، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2015.
14. عبد الكبير الخطيبي: النقد المزدوج، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2000.
15. كارلوني وفيللو: النقد الأدبي، ترجمة كيتي سالم، منشورات عويدات، ط2، بيروت، باريس، 1984.
16. مايكل دينينغ: الثقافة في عصر العوالم الثلاثة، ترجمة أسامة الغزولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013.
17. محمد ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2003.
18. المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983.
19. ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
20. هارلميس وهولبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد، مجلس دار كيوان للطباعة والنشر.والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2010.
21. يوري لوتمان وبوريس أوسبنسكي: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، ترجمة سيزا قاسم ونصر.أبو حامد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1987.